

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[111] فتقول الآية: (فَبَدَلْ مَا رَحِمْنَا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لِيُنْذِرَ لَكُمْ وَلَكُمْ كُنُوتٌ فَطَلَّ غَلِيظَ الْعِقَابِ لَنُفَصِّلَنَّ مَا مِنْكُمْ مِنْ حَوْلِكُمْ...). وعلى هذا الأساس فإنَّ حسن خلق النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هو في الحقيقة رحمة إلهية له ولا ممتته، وبديهي أنَّ هذا الخلق الحسن وقابلية الانعطاف ومداراة الآخرين تعد من البركات والمواهب الإلهية على كل إنسان يتحلَّى بهذه الخصال والسلوكيات الحميدة. ومن التعبير أعلاه في الآية الشريفة نجد النقطة المقابلة لهذا السلوك، وهو أن يكون الإنسان غليظ القلب وسيء الخلق وخشناً في التعامل مع الآخرين حيث تشير الآية إلى نتائج مثل هذا السلوك السلبي، وهي تفرُّق الناس وانفصاحهم عن هذا الإنسان الخشن وإبتعادهم عنه، وبعبارة أخرى أنَّ (حسن الخلق) يمثل اللبنة الأساسية في شد أوصال المجتمع وتقوية وشائج المحبة بينهم، وسوء الخلق عامل لتفرُّق الأفراد وإيجاد الخلل في العلاقات الاجتماعية ويؤدِّي إلى نفور الناس. إنَّ كلمة (فظ) و(غليظ القلب) يأتیان بمعنى واحد ويراد بذلك التأكيد، ويمكن أن يكون لهما معنى مختلف عن الآخر، ويقول (الطبرسي) في مجمع البيان في كلمة جامعة: "وقيل إنَّما جمع بين الفظاظ والغلظة وإن كانا متقاربين لأنَّ الفظاظ في الكلام فنفي الجفاء عن لسانه والقسوة عن قلبه" وعليه فكلا الكلمتين تردان بمعنى الخشونة والجفاء، وأحدهما في الكلام، والآخرى في السلوك والفعل. وعلى أي حال فإنَّ الله تعالى قد وهب نبيَّه الكريم حالة اللّايونة والانعطاف والبشاشة وحسن التعامل مع الآخرين بحيث أنَّهُ كان يسلك هذا السلوك مع أعتى الناس وأخشنهم وأقساهم قلباً، وبهذه الطريقة جذب هؤلاء القساة إلى الإسلام فاعتنقوا الإسلام من موقع الرغبة والشوق والإنجذاب لهذا الخلق الرفيع. وبتبع ذلك توجَّه الآية سلسلة إرشادات وأوامر عملية تخرج حالة (حسن الخلق) والبشاشة من صورتها الظاهرة وتلبسها ثياباً عملية على مستوى الممارسة والتطبيق وتقول: (فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ).